الحرب والهزيمة والفرار، وكلها نوادر وحكم وأفاكيه وملح نثرية وشعرية واليك ثلاثة أمثلة وجيزة من ذلك

(١) قال مقاتل بن مسمع لعباد بن الحصين : لولا شيء لاخذت رأسك : قال نعم ذلك الشيء سيفي وقال

تواعدني لتقتلني نمير ... متى قتلت غير من هجاها

(٢) نظر فيلسوف الى رام تذهب سهامه يميناً وشمالاً فقعد في موضع الهدف وقال لم أر موضعاً أسلم من هذا

(٣) قيل للكاتب الى م تدل بهذه القصبة ؟ فقال هو قصب ، ولكنه يقطع العصب ، ان القلم يقطع قضاء السيف ، ويفسخ حكم الحيف ، ويؤمن مسالك الخوف ، والكتاب يطلب من مؤلفه في مكتبة الهلال بالفجالة

(لايضيني)

خطاب ألقاه في حفلة أدبية في بيروت جرجي أفندي نقولا من بضعة أشهر ونشرته جريدة المناظر المفيدة لما حواه من تشنيع أمور الاهمال الفاشي في بلادنا وإهمال الامور العامة ثم طبعته على حدته لتعميم فائدته واهدتنا نسخة منه فنشكرها ذلك كما نشكر لها إهداءها كتاب الفيلسوف تولستوي في الدين وقد أخذه منا صديق قبل مطالعته فأضاعه ولذلك لم نتمكن من تقريظه

باب الأخبار والآراء

خطبة اللورد كرومر بالفيوم

(أو المدنية والخمر والميسر)

سرى سمّ الفسق من القاهرة وسائر المدن الكبيرة في القطر الى القرى والمزارع في الأرياف فكثر هنالك الخمر والميسر والزنا وغير ذلك من آفات الترف التي تدمر القرى وتهلك الامم اذا هي فشت فيها . ويتوهم كثيرون من العمد وأغنياء الفلاحين ان شرب الخمر والدعوة اليه والمضاربة ونحوها من أنواع القمار من أمارات المدنية

المصرية ولذلك سبق اليها الأمراء والوجهاء في المدن والصواب ان جميع فضلاء أوربا وعقلائها لاسيما الاطباء والفلاسفة ينكرون أشد الإنكار على السكر والقمار واللذين يأتونهاتين الرذيلتين يعدون عندهم من السفهاء . على ان آداب ديننا أعلى من مدنيتهم وفضائله أسمى من فضائلهم لو كنا نعلم ونعمل

وقد زار في هذه الأيام اللورد كرومر مدينة الفيوم فاجتمع لاستقباله والاحتفاء به المئون من وجهاء المديرية وعمد قراها فخطب فيهم خطبة ظهرت منها مكانته في الفضيلة مضارعة لمكانته في السياسة . فنصح للناس بأن يتركوا الخمر والميسر لما فيهما من إفساد الأخلاق التي يمتاز بها عادة سكان القرى والمزارع على سكان الحواضر والمدائن وألمع الى انتقال هذين الوبائين من المدن الى القرى وأرشد العمد الى الغاية بمنع انتشارهما . فاذا كان يوجد من سفهاء الاحلام من يعتقد ان من دلائل مدنيته وجود الخمر في بيته وتقديمها لمن عساه يلم به من الانكليز أو غيرهم من الاجانب فهذا كلام اللورد حجة عليه فهو أعلى القوم مكانا وأوسعهم عرفانا وهو يعد معاقرة الخمر منافية للفضيلة وذاهبة بها من الارياف بعد ان كانت تمتاز بها على القرى وهذا هو ركن المدنية الصحيحة وإنما تبيح اوربا الفسق لما فيه من الكسب ولتكون الفضيلة اختيارية . وقد حثهم على الاقتصاد وحفظ العفو من أموالهم في صناديق التوفير كما حثهم على ترك المقامرات التي تخرب البيوت العامرة وتجعل الاغنياء فقراء والاعزاء أذلاء وقلما ربح منها أحد فكان من الموسرين

(قوله في الكتاتيب المنتظمة)

وأفصح عن رغبته في ازدياد عدد الكتاتيب حتى بهم تعليمها الابتدائي القطر بلغته العربية . ولعمري ان عناية المعارف بالكتاتيب عظيمة وان فائدة البلاد منها فوق ما يظن الذين لا ينظرون لشيء تفعله الحكومة في مصر الى من وجه السياسة وحسبك أنها تجعل الطبقة الدنيا من الاهالي متصلة بالطبقة التي فوقها فيسهل انتقال الافكار والشعور بحاجات الامة من أعلاها معرفة وشعوراً الى أدناها رتبة في الوجود وذلك تمهيد لابد منه لتكوين الامة اذا وجد من يسعى له سعيه . وكلمة اللورد الوجيزة تؤثر في نفوس الوجهاء والعمد في المساعدة على تكثير الكتاتيب وانجاحها تأثيراً عظيما اذ لا يوجد في

الارض من يحترم مقام أصحاب السلطة كأهل هذه البلاد . ولا أظن أن لتنظيم الكتائب كما تفعل المعارف غائلة ما الا اذا صح ما سمعه من قلة العناية بحفظ القرآن، وانقاء هذه الفائلة فرض حتم على مفتشي هذه الكتائب وهو في استطاعتهم اذا أرادوا

وقد تكلم اللورد في مسائل أخرى في مصلحة الأهالي ليست من موضوعنا وزار جميع معاهد الحكومة والمدرسة الاهلية فتعجب الناس للفرق بين هؤلاء الاجانب عنهم وبين أمرائهم وحكامهم في القرون الاخيرة

﴿ نشرة إفساد ، أو حبالة صياد ﴾

علمنا أن قد ورد من باريس الى مصر صحيفتان أو نشرتان سريتان إحداهما فرنسية والأخرى عربية يزعم كاتبهما وناشرهما انهما من لجنة عليا لجمعية عربية غرضها فصل البلاد العربية من الخليج الفارسي الى البحر الاحمر من سلطنة الترك وجعلها مملكة مستقلة بمساعدة بعض الدول . وقد اطلعنا على العربية التي كتب عليها انها تعريب الفرنسية فاذا هي طعن في ادارة الترك وسيرتهم بل وإسلامهم وتحريض عليهم وترغيب للعرب في الانسلاخ عنهم . ويزعم الكاتب انه مستعد بجمعيته لعمله من غير اهراق قطرة دم ! وان لجمعيته هذه أعضاء في جميع البلاد العربية ! !

وفي رأينا ان هذه النشرة لا تعدو أمرين احدهما اثارة الهواجس في (يلدز) تمهيداً لأمر تريده بعض الدول وهو المرجوح وثانيهما انه وسيلة من رجل أو نفر من المحتالين بأمثال هذه الوساوس لنيل الرتب والرواتب المالية من السلطان وهو الارجح ولا يبالي هؤلاء المفسدون بما عساه يكون وراء افسادهم من فتح أبواب الايذاء للجواسيس في الولايات العربية لا سيما لمن أرسلت اليهم النشرة اذا وجدت عندهم وان كانوا لا يعرفون مصدرها

وقد كنا نصحنا لسلطاننا في المجلد الثاني من المنار بأن لا يبالي بشيء مما يكتب في الجرائد الطعانة على اختلافها ونحوها هذه النشرات وان لا يحسن الى صاحب جريدة على مدح ، ولا يلتفت لما تحكيه في بلاد الحرية من قدح ، الا لمعرفة او معرفة الحقيقة من المتصفين ، فعدم المبالاة بأصحاب الدسائس والاغراض السافلة هو أكبر عقوبة لهم واحسن اصلاح لغيرهم

اذا نطق السفيه فلا تجبه فان جوابه أن لا يجابا

وما من سلطان أو أمير أو كبير يهتم بأمثال هذا الكلام الا ويسلط على نفسه السفهاء حتى لا يدعون له راحة كما هو مشاهد. ولقد كان أبو الهدى افندي الشهير مغرما بمدح الجرائد ونحوها فسلطها بذلك عليه حتى ذمته أضعاف ما مدحته فلما ترك مكافأة المادح، ومكافحة القادح، صان عرضه، وحفظ غمره وبرضه، وقد تحرشت الجرائد بمختار باشا فلم يأبه بها فتركته وشأنه. ومن كان الطمع فيهم أكبر كان هذا المسلك في حقهم اوجب.

أما الموعظة التي تؤخذ من أمثال هذه النشرة فهي انه يجب على إخواننا الترك ان يتناسوا مسألة الجنسية والتداء بها ويجعلوا العثمانية ضاط الارتباط بسائر شعوب المملكة فانما يمزق الاعداء الدولة باختلاف الجنسية. واذا عنوا باللغة العربية حتى جعلوها لسان الدولة فانهم يجددون لهم قوة وحياة لا تغالب ان شاء الله وهو الموفق

﴿ نقلة أخبار الحرب والثقة بالتاريخ ﴾

نود ان نلفت الناس المرة بعد المرة الى تهافت نقلة أخبار الحرب وتناقضهم ومن ذلك أنهم ذكروا بعد استيلاء اليابانيين على ميناء (بور) آرثر ان حاميتها سلمت لعدم وصول الطعام والقلاع لنفاد المؤن والذخائر الحربية وهلاك معظم الجند وقالوا أن التسليم كان مريعا ثم كروا على هذا الخبر بالنقض واثبتوا ان ذلك التسليم عار عظيم على الروس وانه كان في استطاعتهم الدفاع عدة أشهر أخرى. وكانوا قالوا ان الاسطول الروسي الذي تعطل وأغرق في الميناء لا ينتفع به ثم عادوا فقالوا أنه يسهل استخراج سفنه ماعدا اثنتين منها ويمكن إصلاحها بنفقة قليلة. وكذلك اختلفوا في الذخائر التي غنمها اليابانيون فقدر شأنها بعضهم وعظمه آخرون، وكانوا قد اتفقوا على اطراء استوسل قائد حامية الروس ثم انقلبوا يسلقونه بألسنة حداد. والجرائد هي ينابيع هذه الاخبار وهي الشركات البرقية. وقد أخذنا من ذلك قاعدة عامة وهي أنه لا يوثق بالاخبار الحربية المختلف فيها وأما ما يتفقون عليه فيوثق به ظناً بعد زمن يمر على الاتفاق وانما تعد الحقيقية بالنتائج المتفق عليها ككون اليابانيين هم الظافرين في كل الوقائع. والتاريخ المقرر أحق بهذه قاعدة وجرائد بلادنا في الجملة اجدر بعدم الثقة.